**التصوير بالإيقاع**

|  |  |
| --- | --- |
| **التوظيف الصوتي** | **ربط السياق بالإيقاع** |

تنسجم النفس بفطرتها مع انتظام الأشياء، وتنفر من العشوائيّة، وإذا ما أراد المنشئ للغته الفنيّة أن تترك تأثيرها الفاعل في نفس المتلقّي فلا بدّ أن يتوفّر فيها الجرس المنظّم عن طريق التوظيف الصوتيّ؛ لأنّ ثمّة علاقة قويّة تربط ما بين الألفاظ والموسيقى.

.....................................

ودراسة التصوير في خطب المسيرة الحسينيّة تقوم على أساس ربط السياق بالعنصر الإيقاعيّ، وأثر ذلك في رسم الصورة، من خلال مبحثي: التصوير بالإيقاع اللفظيّ، والتصوير بالإيقاع المعنويّ.

**وسائل التصوير بالإيقاع اللفظيّ**

وسائل التصوير بالإيقاع اللفظيّ تشمل: التكرار والجناس والسجع.

**التكرار**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **تعريفه** | **أشكاله** | **الغاية منه** | **مثال** | **تمرين** |

التكرار ظاهرةٌ موسيقيّة، تتجلّى جماليّته في النصّ من خلال "تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكّل نغمًا موسيقيّاً يتقصّده الناظم في شعره أو نثره".

........

|  |  |
| --- | --- |
| **تكرار الحرف** | ممّا يعطي الألفاظ إيقاعًا يوفّر الإمتاع لآذان السامعين ويعكس حالة المنشئ. |
| **تكرار الكلمة** | لتكثيف المعنى وإكسابه قوّةً تأثيريّة، إضافةً إلى الإيقاع المحبّب في النصّ. |
| **تكرار الجملة** | يعكس الأهميّة التي يوليها المتكلّم لمضمون الجمل المكرّرة. إضافةً إلى ما تحقّقه من توازنٍ هندسيّ وعاطفيّ بين الكلام ومعناه. |

...........

التكرار نوعٌ من "الإطناب" بالزيادة تقتضيه دواعٍ منها: التقرير، والتأكيد، والتعظيم، والتهويل.

كما أنّه من أقوى طرق الإقناع، وخير وسائط تركيز الرأي والعقيدة في النفس.

................

**مثال من النصوص الحسينيّة**

ورد في خطبة السيّدة زينب (ع) في مجلس یزید: "**وَكَيفَ يُستبطَأُ فِي بُغضَتنَا مَنْ نَظَرَ إِلينَا بـ الشَنَفِ[[1]](#footnote-1) وَالشَنَآنِ[[2]](#footnote-2) وَالإحَنِ[[3]](#footnote-3) وَالإِضغَانِ...".** حيث تكرّر حرف النون ذي الغنّة ثماني مرّات.

**................**

جاء في خطبة الإمام عليّ بن الحسين(ع) في الكوفة بعد مقتل أبيه الحُسين في كربلاء وندم أهل الكوفة وقولهم إليه بأنّهم سامعون، مطيعون حافظون لذمامه، وأنّهم حربٌ لحربه وسلمٌ لسلمهِ، فقال**: "هَيهَاتْ هَيهَاتْ أَيُّهَا الغَدرَةُ المَكَرَةُ، حِيلَ بِينكُم وَبِينَ شَهَوَاتِ أَنفُسِكُم...".**

ما هي دلالة اسم فعل الأمر **"هيهات"؟** ولماذا تمّ تكراره أكثر من مرّة؟ وما الفائدة من التكرار؟

**الجناس**

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| **تعريفه** | **أقسامه** | **أغراضه** | **مثال** |

**الجناس** "أن يتشابه اللّفظان في النطق ويختلفا في المعنى".

**.................**

|  |  |
| --- | --- |
| الجناس التامّ | هو ما اتّفق فيه اللّفظان المتجانسان في نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى. |
| الجناس غير التامّ | وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحدٍ من الأمور المتقدّمة. |

....................

- خلق الموسيقى الداخليّة في النّصّ من خلال تماثل الكلمات تماثلًا يجذب النفوس ويحرّك الأذهان.

- تشويق المتلقي؛ إذ يتوهّم المتلقّي أنّ اللفظ مردّدٌ، والمعنى مكرّر، وعندما يأتي اللفظ الثاني بمعنى يغاير الأوّل يحدث لديه تشوّقًا.

- تصوير المعنى وتأكيد النغم في خطب المسيرة الحسينيّة.

..............

**الجناس المعكوس**

جاء في كلامٍ لأبي عبد الله الحسين (سلام الله عليه) في أصحابه وأصحاب الحرّ بن يزيد الرياحيّ، يصف فيه جيش يزيد وأعوانه في إفساد العقول: **"..أظْهَرُوا الفَسَادَ وَعَطَّلُوا الحُدُوْدِ واسْتَأثَرُوا بِالْفَيءِ**[[4]](#footnote-4)، **وَأحَلُّوا حَرَامَ اللهِ وحَرَّمُوا حَلَالَه..".**

**السجع**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **تعريفه** | **بلاغته** | **أغراضه** | **مثال** | **تمرين** |

**السجع** هو توافقُ فاصلتين (أو أكثر) في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره.

..........

لا يحسن السجع إلّا إذا كانت المفردات عذبةً رشيقة، والألفاظ خادمةً للمعاني، ودلّت كلٌّ من القرينتين على معنىً غير ما دلّت عليه الأخرى. كما لا يُستحسن إلّا إذا جاء عفوًا، خاليًا من التصنّع والتكلّف.

.............

لا يقتصر أثر السجع على إيجاد الإيقاع المتوازن، بل يقصده المنشئ ليثبّت المعاني في ذهن المتلقّي.

كشف السجع عن قدرة خطباء المسيرة الحسينيّة على توظيف ذخيرتهم اللغويّة في هذا الفنّ بحيث انبثقت منها قطعةٌ فنيّة منسجمة.

.............

جاء في خطبة الإمام الحسين(ع) لأصحابه وأصحاب الحُرّ بن يزيد الرياحيّ: "...**قَدْ أَتَتنِي كُتُبُكُم وَقَدِمَت عَليَّ رُسُلُكُم أَنَّكُم لَا تُسلمُونِي وَلاَ تَخذِلُونِي فَإِنْ تَممتُم عَليَّ بِيعَتِكُم تُصِيبُوا رُشدَكُم فَأَنَا الحُسِينُ بنُ عَلِيّ وَابْنُ فَاطِمَةٍ بنْتُ رَسُولِ اللهِ (ص) نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُم وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِيكُم...".**

**..................**

ورد في خطبة الإمام عليّ بن الحسين (ع) عند رجوعه إلى المدينة واصفاً ما حدث لأبيه وأصحابه وأهل بيته في كربلاء، قائلاً: **"فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُون، مِنْ مُصيبِةٍ مَا أَعظَمَهَا، وِأَوجَعَهَا وأكظّها[[5]](#footnote-5) وأَفظَعَهَا وَأَمَرَّهَا وأَفدَحَهَا، فَعِندَ اللهِ نَحتَسِبُ فِيمَا أَصَابَنَا...".**

**بيّن السجع ودوره في النصّ.**

**التصوير بالإيقاع المعنويّ**

يتّجه التصوير بالإيقاع المعنويّ إلى تحسين المعنى وهو على ضربين: الازدواج والمقابلة.

**الازدواج**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **تعريفه** | **الهدف منه** | **مثال** | **توضيح** | **تمرين** |

الازدواج أو الموازنة هي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساويةً في الوزن دون القافية.

..............

للازدواج وظيفةٌ إيقاعيّة، لا يستغني عنها المنشئ في تحسين نصّه الفنيّ وتفعيله في نفس المتلقّين، من خلال التأثير في وجدانهم وعواطفهم.

...........

ورد في خطبة الإمام الحسين (ع) في كربلاء: **"لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرُّ إقرار العبيد..".**

**...............**

نلاحظ الازدواج في موازنة الإمام (ع) بين الكلمتين الأخيرتين في الوزن وعدد الكلمات، وهذا التوازن أحدث تعادلاً صوتيًّا أضاف إلى النّص انسجامًا موسيقيّا محبّبًا يستهوي النفوس.

كما أدّى إلى تعزيز الصورة التي آزرت الدلالة المركزيّة للخطاب الحسينيّ وهي "رفض الإمام الحسين (ع) تقديم البيعة ليزيد".

.................

ورد في خطبة الإمام عليّ بن الحسين (ع) في الشام يُذكّر الناس بنسبه الشريف قائلًا: **"أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ بِجَبْرَئِيلَ.. أسَدٌ باسِلٌ، وغَيثٌ هاطِلٌ، يَطحَنُهُم فِي الحُروبِ إذَا ازدَلَفَتِ[[6]](#footnote-6) الأَسِنَّةُ[[7]](#footnote-7)، وقَرُبَتِ الأَعِنَّةُ[[8]](#footnote-8)، طَحنَ الرَحى، ويَذرُوهُم[[9]](#footnote-9) ذَروَ الريحِ..".**

بين عبارتي **"طحن الرحى" و "ذرو الريح"** ازدواجٌ قصد منه المنشئ إيصال صورة جدّه أمير المؤمنين (ع)، حال قتاله الكافرين. كيف يمكنك تلمّس معالم الصورة المقصودة؟؟

**الطباق والمقابلة**

|  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **تعريفه** | **أنواعه** | **الغاية منه** | **مثال** | **توضيح** | **تمرين** |

الطباق هو الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام الواحد. والمقابلة هي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثمّ يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.

...........

|  |  |
| --- | --- |
| طباق الإيجاب | وهو ما لم يختلف فيه الضدّان إيجابًا وسلبًا. |
| طباق السلب | وهو ما اختلف فيه الضدّان إيجابًا وسلبًا. |

.............

هما من الأنماط التعبيريّة ذات القيمة الجماليّة؛ لما يحدثانه من إيقاعٍ داخليّ يُطرب النفوس. وكلٌّ منهما من ضروب تعميق المعنى؛ حيث يتجلّى تأثيره في الجمع بين الأضداد، فيخلق صورًا ذهنيّة ونفسيّة متعاكسة يوازن بينها العقل، ويتعمّق في تأمّلها.

**..............**

في خطاب السيّدة زينب (عليها السلام) في الكوفة: "**أَتبكُونَ؟! أَي وَاللهِ فَابكُوا، وإنّكم وَاللهِ أحرِيَاء بِالبُكَاءِ فَابكُوا كَثيِراً واضحكوا قَلِيلاً، فَلَقَدْ فُزتُم بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا[[10]](#footnote-10) وَلَنْ تَرحَضُوهَا[[11]](#footnote-11) بِغَسلٍ بَعدَهَا أبَداً...".**

.............

يبدو أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) كانت تقصد "توبيخ القوم وتأنيبهم" على فعلتهم في قتل الإمام الحسين (ع) ومن ثَمَّ البكاء عليه، وهذه الدلالة المركزيّة للخطاب، وهذا ما تجلّى في قولها (عليها السلام): "**فَلَقَدْ فُزتُم بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا".** ولقد عزّزت هذه الدلالة وهذا المعنى المقصود من خلال قرنها الفوز بالعار والشنار، ومن خلال التضاد بين الألفاظ "**ابكوا واضحكوا**"، "**كثيرًا وقليلًا**".

............

من صور الطباق ما جاء في خطبة السيّدة زينب (عليها السلام) في الشام أمام مجلس يزيد قولها: **"أَظَننتَ يَا يَزيدَ أَّنّهُ حِينَ أُخِذَ عَلِينَا بِأطرَافِ الأَرْضِ وَأَكنَافِ السماءِ فَأصبحنَا نُسَاقَ كَمَا يُسَاقُ الأُسَارَى أَنَّ بِنَا هَوَاناً عَلَى الله وَبِكَ عَلِيهِ كَرَامَةً...".**

بيّن الهدف من الطباق الوارد في الخطبة "**هوان وكرامة**"، مستعينًا على ذلك باستكشاف الهدف من الاستفهام.

1. الاشمئزاز والإعراض. [↑](#footnote-ref-1)
2. بغض. [↑](#footnote-ref-2)
3. حقد. [↑](#footnote-ref-3)
4. الغنيمة تُنال بلا قتال. [↑](#footnote-ref-4)
5. آلمها. [↑](#footnote-ref-5)
6. دنت. [↑](#footnote-ref-6)
7. السنان: نصل الرمح. [↑](#footnote-ref-7)
8. العنان: اللجام. [↑](#footnote-ref-8)
9. ينثر. [↑](#footnote-ref-9)
10. الأمر المشهور بالشناعة والقبح. [↑](#footnote-ref-10)
11. الرحض: الغسل. [↑](#footnote-ref-11)